[55] انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجا لتهيأ (1) للمشئ ولو كانت أفرادا لم تصلح لذلك، لان الماشي ينقل بعض قوائمه ويعتمد على بعض: فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة، وذو الاربع ينقل اثنين ويعتمد على اثنين، وذلك من خلاف لان ذا الاربع لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لما يثبت على الارض كما لا يثبت السرير وما اشبهه، فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره، وينقل الاخريين أيضا من خلاف فيثبت على الارض ولا يسقط إذا مشى. أما ترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعا منعما، والبعير لا يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي ؟ والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به ؟ والفرس الكريم يركب السيوف والاسنة بالمواتاة (2) لفارسه، والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد، ولو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها، وكذلك جميع الاصناف المسخرة للانسان، (3) فبم كانت كذلك إلا بأنها عدمت العقل والروية، فانها لو كانت تعقل وتروى (4) في الامور كانت خليقة أن تلتوي على الانسان في كثير من مآربه (5) حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه وتتفرق الغنم عن راعيها وأشباه هذا من الامور. وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية فتوازرت على الناس كانت خليقة أن تحاجهم (6)، فمن كان يقوم للاسد، والذئاب والنمورة والدببة لو

---

(1) في كتاب التوحيد من البحار: لتتهيأ. (2) المواتاة: الموافقة. (3) في الموضع المتقدم: مسخرة للانسان. (4) تروى: تفكر. (5) المآرب: الحوائج. (6) هكذا في النسخ، وفى توحيد البحار: تجتاحهم، ولعله الصحيح أي تستأصلهم و تهلكهم. *